

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
الجامعة المستنصرية  
كلية الآداب - قسم اللغة العربية

# شعر أبي العلاء المعري في الدراسات النقدية الحديثة

أطروحة تقدّم بها الطالب

صالح كريم ياسين العلوي

إلى مجلس كلية الآداب في الجامعة المستنصرية

وهي جزءٌ من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه

فلسفة في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

رعد احمد علي الزبيدي

٢٠١٣ م

١٤٣٤ هـ

## خاتمة

أثارت الحركة النقدية حول أبي العلاء المعري جملة من التقاليد والأعراف والنواميس النقدية التي نمت أغلبها في المناخ الأكاديمي. والمدونة النقدية حول المعري مثلت جهوداً علمية مثابرة، واستوعبت تفاصيل دقيقة ومختلفة في أدب المعري عامة وفي شعره خاصة، وأغنت المكتبة النقدية العربية بشكل عام، والدرس النقدي العربي بشكل خاص.

وللنص الشعري العلائني عمق مؤداه الموروث الثقافي الذي استلهمه، وتنوع ثقافته، وهذا العمق يمثل أهم الدوافع التي تقف وراء الحركة النقدية حول المعري، وحضوره في المدونة النقدية الحديثة. فضلاً عن أن شهرة المعري شاعراً هي من أهم الأسباب التي تقف وراء اهتمام النقاد المحدثين به، والكشف عن جوانب تكامل شخصية المعري ثقافياً وشعرياً ولغوياً وفلسفياً وحياتياً.

ولأبد من الإشارة إلى أنه ليس بمقدور أي باحث أن يقرأ كل شيء من المنجز النقدي حول المعري ونصه الشعري، فقد مثلته عشرات الآراء والدراسات والبحوث .. والرسائل والندوات والمؤتمرات ..

فالدراسات النقدية خلال الستينات والسبعينات من القرن العشرين لا يمكن مقارنتها بما جاء بعدها مع مطلع ثمانينات القرن العشرين كماً ونوعاً... فالأخيرة بحوث علمية معمقة وشاملة . والآراء النقدية فيها تنم عن وعي متميز وفهم متقدم، فهي جادة ورصينة بسبب توسع الدراسات العليا في الجامعات العربية، فضلاً عن انفتاح الباحث العربي على ثقافات العالم ، والإفادة مما استجد من مناهج واتجاهات نقدية جديدة بما فيها الدراسات الاستشراقية حول شخصية المعري وأدبه وشعره وفلسفته. وإن كان لهذه الدراسات قصب السبق في إثارة الكثير من القضايا النقدية والفكرية والفلسفية في أدب المعري ولاسيما في شعره.

فقد تميز الباحثون الأكاديميون في جهودهم النقدية على من سواهم لتوافرها على مقومات البحث العلمي. إذ برز نقد انبثق من المقارنة بين المنهج البنيوي بفرعه التكويني لا الشكلي في معالجة الكثير من الظواهر في شعر المعري. والانطلاق من

فضاء النص الحاضر إلى النص الغائب، ومن ثم معالجة البنية الثقافية والتاريخية والاجتماعية كمرجعية للنص. أما النقد الاجتماعي لشعر المعري فقد جاء في دراسات فردية ، وكانت معظمها تصب في المنهج الاجتماعي بسبب الاتجاه السياسي الذي كان يعاضد هذا الخط.

وخلصت الدراسة إلى أن جهود الدارسين المحدثين انطلقت في تناول شعر المعري مما أثاره النقاد القدامى في قضايا لا يمكن فصلها عما تناوله المحدثون إلا في إطار الرؤى المنهجية في الحركة النقدية الحديثة. وبعض الدراسات النقدية تميّزت بالريادة في القضايا والظواهر التي عالجتها. ولم تكن جميع الدراسات النقدية مبتكرة بل بعضها جاءت مكررة كتكرار المحدثين لأقوال الأقدمين، وتكرار المحدثين لأقوال المحدثين أنفسهم. ولمست هذه الدراسة أن الكثير من البحوث والمؤلفات التي تناولت أدب المعري كان توجهها العام صوب تجربته الشعرية والحياتية وليس نحو المعالجات التي أثّرت حول شعره.

ثم إن ظهور المناهج النقدية الحديثة على الساحة الأدبية وازدحامها في أواخر القرن العشرين (النقد الألسني ، الأسلوبى ، البنيوي ، السيميائي ، والتفكيكي..) أشاع اضطراباً في الرؤى النقدية عند النقاد الذين استقبلوا هذه المناهج بضباية في التنظير والآليات، وأزمة المصطلح النقدي دون ان يوقفوا إلى حدّ مقبول بينها الآ في وقت متأخر. ولعل عدم اكتمالها في بداياتها حتى في بلد المنشأ ذاته هو أحد الأسباب التي جعلتها غائمة في الأذهان، وجعلت بعض النقاد والدارسين ينصرف عنها، ويؤثر قناعاته التقليدية، وهذا ما لمسناه في بعض الدراسات النقدية التي عالجت النص الشعري العلائقي خلال الثمانينات وبداية التسعينات، من تكرار وتداخل لا يخلو بعض الشيء من سفسطائية ..

واستنتجت الدراسة إن ما حملته المدونة النقدية الحديثة عن شعر المعري كانت تغيب عنها النظرة التكاملية، بمعنى أنها تفنقر إلى النظرة الكلية إلى حد كبير. فالنص الشعري العلائقي فيه تعقيد وغموض وعمق ..، وبعض النقاد جاءت معالجاتهم للنصوص الشعرية العلائقية متأثرة بآراء النقاد القدامى، وأتبع من عاصروه أو جايلوه.

وترى هذه الدراسة أن الحركة النقدية حول المعري تسعى إلى غايات جوهرية تكمن في البحث والتقصي عن تطور نصه الإبداعي، فنصوصه الشعرية في اللزوميات قرأت قراءة نقدية تجزيئية عند بعض النقاد المحدثين، وعولجت معالجة نقدية سريعة ومقتضبة عند بعضهم الآخر. وهناك دراسات عالجت النص الشعري العلائي بمشتركات منهجية. والخطاب النقدي الذي تناول نصه الشعري او المدونة النقدية حول شعر المعري تمثل متابعة اصحابه لتجربة المعري الشعرية واستقرائهم لها. ثم أن الجهود النقدية حول المعري هي خلاصة استجابات أصحابها عند بحثهم في معطيات النص الشعري العلائي تمثلت في صورة كيان معرفي يستقرئ المسيرة الابداعية لأبي العلاء في ضوء أصول منهجية، وقرءات نقدية (نظرية وتطبيقية) يحكم بعضها قواعد ونواميس، وهو جهد أنساني يؤطر العلاقة بين المعري ومثليته.

وكشف البحث عن مناهج وآراء نقدية كثيرة تناول النقاد المحدثون على ضوءها شعر المعري سياقية كانت ام نصية، وكانت الرؤية المنهجية الواضحة سمة غالبية في عدد غير قليل وغياب الرؤية في عدد آخر منها. ولاحظ الباحث أن الدراسات النقدية الحديثة التي تناولت شعر أبي العلاء جاءت أكثرها منصبية في بوتقة المناهج السياقية، وأتت دراسات أخرى بنسبة اقل تمثل محاولات للإفادة من المناهج النصية في معالجة النص الشعري العلائي. ويمكن القول أن جميع الدراسات النقدية الحديثة حول شعر المعري تحركت في دائرة المناهج السياقية ولكنها لم تبقَ في اتجاه واحد، وفي قضية معينة إنما هناك إضاءات كثيرة من مناهج أخرى في الدراسات الواحدة، فلا توجد دراسة اجتماعية، تاريخية، نفسية، خالصة..، وإنما خضعت لمنهاج نقدي تكاملية أيضاً.

وفي الدراسات الفنية لشعر المعري تبدو هيمنة المنهج الفني عليها واضحة، فقد طغى هذا الاتجاه على العديد من الدراسات النقدية الحديثة التي تناولت شعر المعري وبزوايا نظر تختلف باختلاف قراءات النقاد أنفسهم ، وانحصرت بأربعة محاور: اللغة ، الإيقاع ، الصورة ، والبنية، وهناك نماذج فنية من الأعمال النقدية قد أحاطت النص العلائي بجميع آليات المنهج الفني..، ثم اتسع اهتمام دارسي النص الشعري

العلائي، واتجهت المعالجات النقدية إلى قضايا تضمّنها شعره كزهده، وظواهر اتسم بها ك (مبالغته وفلسفته وثقافته و سلوكياته، والتكرار والمحاكاة والتعقيد،...).

وكثير من النقاد في معالجاتهم النقدية لشعر المعري زاوجوا بين منهجين أو أكثر ، وانساقوا وراء اجتهادات ذات طابع شخصي فكل ناقد منهم استوعب من معطيات هذه المناهج النقدية ما يراه مناسباً له.

واستشف البحث ان الدراسات النقدية الحديثة تركز على أن المعري لا يؤمن في القول (أعذب الشعر أكذبه) كما كان شائعاً في عصره وفي كل عصر ، وتنتقل من هذه الرؤية لمعالجة نصه الشعري.

وتنتقل كذلك من أن المعري ينظر بحركة تجديد منشودة، ويعترض على الشكلية وإن لم تكن مصطلحاً نقدياً معروفاً في عصره، مشيرةً إلى أنه لا يتحدث عن الشعر مطلقاً إنما عن الشكلي منه.. وتؤكد هذه الدراسات تمرده على بناء القصيدة التقليدية ، ومن مظاهر هذا التمرد على سبيل المثال لا الحصر إنه يرفض التناثر بين القول والفعل أو امكانية التناقض بينهما وبين النظرية والممارسة.

إن اغلب ما كتبه المحدثون عن شعر المعري يمثل قضايا جديدة ، ولعل في مقدمتها تحليلهم شعره في ضوء حقائق علم النفس، وكشف عن أثر عماه في خياله وعناصر الصورة الفنية عنده..

وأفاض النقاد في الحديث عن تشاؤمه وأسباب هذا التشاؤم ، وأشاروا إلى موضوع (شاعريته) بوجه عام ، واختلفت مواقفهم النقدية تجاهها ، فمنهم من أنكر عليه صفة الشاعرية وعدّه فيلسوفاً ، ومنهم من أقر له بها وسلكه في عداد الشعراء.. وأثار النقاد كذلك مسألة تأثره بغيره من شعراء جيله أو ممن سبقه وكذلك تأثيره في شعراء العصر الحديث..

ومن النقاد المحدثين من ذهب في تحليل فنه الشعري من جوانب مختلفة مثلت وجهات نظر نقدية كثيرة تقترب من بعضها في مواطن وتتباين فيما بينها في مواطن أخرى، وهذا ما حاولت الكشف عنه أبواب هذه الدراسة وفصولها.

وأظهرت الدراسة أن عدداً ليس بالقليل من الدارسين المحدثين لأبي العلاء وشعره لم يصبروا عليه وعلى فهمه قبل أن يوظفوا رؤياهم النقدية حوله؛ فلأن يفهم النقاد أبا

العلاء فتلك قضية ذات أهمية وخطورة بحد ذاتها في ظل المتغيرات الفكرية والفلسفية والسياسية، وتطور المناهج النقدية وتداخلها وبروز سمة التكامل والمقاربات النقدية فيما بينها..، فقد أخذ من الشعر خلاصته ومن الفلسفة صفوتها، وأن فلسفته امتازت بشمولها لشؤون الحياة ولاسيما أسرارها وشجونها. وهو الشاعر الفيلسوف الذي التزم بما لا يُلزم عند المسلمين في سيرته ولفظه ، حتى ساد المزاج السوداوي حياته وطغت عليها شكوكه الفلسفية القلقة التي خلقت بداخله العزلة والميل نحو الاغتراب..

ولقد أظهر المعري عناية واضحة وصريحة في لزومياته على وجه التحديد بالعلوم (المنطق، الفلك ، والعلوم الأخرى، لذا فقد شغل هذا الجانب حيزاً من المدونة النقدية الحديثة حول شعر المعري الفلسفي... حتى أن كثيراً من النقاد وقفوا عند (الأخلاق العلائية ) ذات الطبيعة المثالية . العقلية التي تتسم بالثبوتية فهي لاتتغير بتغير الزمان والمكان..